(١٩)

نصرة النبي ﷺ[١]

● **الخطبة الأولى :**

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمون :

ماض مجيد نبكي عليه :

كان المسلمون في الزمن الماضي ، لا يستطيع أحد أن يمس لهم طرفا ، أو يؤذيهم بكلمة ، لأن الأمة كانت أمة تستطيع أن تدافع عن نفسها ، كانت تنصر بالرعب مسيرة شهر[٢] .

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة ٤ من محرم ١٤٢٧هـ ، الموافق ٣ فبراير ٢٠٠٦م ، وكانت خطبة مشهودة ، انتظرها الناس بعد طول غياب للشيخ ، حيث انقطع الشيخ عن منبره بسبب إجرائه عملية المرارة والتي أجريت له بمستشفى حمد بالدوحة ، وحين أعلنت الصحف القطرية عن خطبة الشيخ ، هرع الناس إلى المسجد من كل حدب وصوب ، والتف الناس من مشارق الأرض ومغاربها حول أجهزة التلفاز ، ينتظرون ما يقوله الشيخ ، وأذكر أن الشيخ سلمان العودة زار فضيلة الشيخ القرضاوي في بيته بعد الخطبة بأيام ، وكان مما قاله الشيخ العودة لفضيلة الشيخ : اتصل بي الشيخ عائض القرني بعد سماعه لخطبة الجمعة ثم قال : أشهد أن الشيخ إمام (المكتب العلمي) .

(٢) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله ، وفيه قال رسول الله ﷺ :« أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود ، وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض طيبة طهورا ومسجدا ، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة ». رواه البخاري في فرض الخمس (٣١٢٢) ، ومسلم في المساجد (٥٢١) والنسائي في « السنن الكبرى » في الصلاة (٨١٧) وفي « المجتبى » في المساجد (٧٣٦).

OBEIKANDL.COM

قالوا : إن عمر بن عبد العزيز بلغه أن أسيرا مسلما أهين في بلاد الروم ، فكتب إلى ملك الروم يقول له ، بلغني أن مسلما أهين عندكم ، فإذا بلغك كتابي هذا فخل سبيله ، وإلا غزوتكم بجنود ؛ أولها عندك وآخرها عندي . ولم يملك ملك الروم إلا أن أطلق سراح الأسير المسلم .

والقصة المشهورة ، قصة المرأة التي لطمها رومي ، فقالت وهي بعيد ، بعيد في بلاد الروم ، قالت : وامعتصماه ، وامعتصماه . فقيل لها : وأين المعتصم منك؟ فلما بلغ المعتصم استغاثتها ؛ قال لها قولته : لبيك أختاه ، لبيك أختاه . وجهز جيشا كان من ورائه واقعة شهيرة ، واقعة عمورية ، التي خلدها أبو تمام في بائيته :

السيف أصدق أنباء مـــن الكتـــب في حده الحد بين الجد واللعـــب[1]

إلى آخر القصيدة .

حاضر حزين نأسف له :

هكذا كنا ، فأصبحنا الآن ، تستباح حرماتنا ، تداس كـرامتـنا . وكأننـا أمـة لا وزن لها . أمة تبلغ مليارا وثلث المليار من البشر أو تزيد ، تكاد تبلغ ربع العالم ، ولكنها أمة لا يهتم بها أحد ، ولا يقيم لها أحد وزنا . تؤذى في أهم مقدساتها ، ومع هذا كثيرا ما سكتت ، سدت أذنا من طين ، وأذنا من عجين .

---

(١) وقعت معركة عمورية في رجب ٢٢٣هـ ، وسببها كما ذكر فضيلة الشيخ. وكان المنجمون خوفوا المعتصم من خوض هذه المعركة في ذلك الوقت ، فضرب بتخمينهم عرض الحائط ، وخاض معركته ، فكتب الله له النصر المؤزر. ومما قاله أبو تمام :

والعلـــم في شـــهب الأيـــام لامعـــة بين الخميسين لا في السـبعة الشـهب
أين الرواية؟ أم أيـــن النجـــوم ؟ ومـــا صاغوه من زخرف فيها ومـــن كـــذب
تخرصـــــا وأحاديثـــــا ملفقـــــة ليســـت بنبـــع إذا عـــدت ولا غـــرب

انظر : البداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ٢٨٨).

أُهين القرآن ، وديس على المصحف ، وفعل ما فعل ، وسكتت الأمة ، إلى أن طفح الكيل ، وطغى السيل ، وادلهم الليل ، وحاق الويل كل الويل ؛ إلى أن أهين محمد ﷺ عيانا بيانا ، جهارا نهارا ، كان ذلك في غرفات مغلقة ، الذين داسوا المصحف ، في « جونتنامو » وغيرها ، لم يكن هناك أحد يراهم ، وقد أنكروا ذلك وجحدوه .

بـــما تعظم الجرائم؟

أما أن يهان محمد عليه الصلاة والسلام علنا وجهارا ؛ وفي الصحف!! هذا أمر لا يمكن أن تقبله الأمة بحال .

إنها جريمة أيها الإخوة .

جريمة غير مسبوقة .

جريمة لا نظير لها .

جريمة كبرى .

تقاس الجريمة وعظمها بمقدار المُساء إليه ، والمعتدى عليه ، من يسيء إلى المعلم غير من يسيء إلى التلميذ . من يسيء إلى الشيخ غير من يسيء إلى الشاب . من يسيء إلى الأب غير من يسيء إلى الابن . فكيف بأعظم شخصية بشرية في الوجود ؟! بمحمد ﷺ ، الذي ختم الله به النبيين ، وختم برسالته الرسالات ، وبعثه ليتمم مكارم الأخلاق ، وأرسله رحمة للعالمين ، وحجة على الناس أجمعين ، بعثه بالرسالة العامة الخالدة الشاملة ، (التي امتدت طولا حتى شملت آباد الزمن ، وامتدت عرضا حتى انتظمت آفاق الأمم ، وامتدت عمقا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة)[1] ، وصدق الله العظيم حين يقول : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ ﴾ (النحل:٨٩) .

---

(١) من كلام الإمام الشهيد حسن البنا ، انظر : كتاب شيخنا (الخصائص العامة للإسلام) ص ٩٥.

OBEIKAN.COM

محمد ﷺ يُهان جهارا نهارا على الملأ ، هذه جريمة كبرى ، الجريمة تقاس بمقدار المُساء إليه والمعتدى عليه . وتقاس بمقدار من يتأثر بها ، ويتضرر بها .

من يتضرر بهذه الإساءة؟! إنها ليست عائلة كما إذا أسيء إلى كبير عائلة أو أسرة ما ، أو إلى شيخ من شيوخ القبيلة ، تتضرر القبيلة .

إذا قال الشاعر :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا[1]

تغضب قبلية نمير .

إذا قال الشاعر :

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأذنون وهم شهود

تغضب تيم حين تمس كرامتها .

من المتضرر هنا؟

أما هنا من المتضرر؟ إنها أمة محمد ﷺ ؛ عربها وعجمها ، سنتها وشيعتها ، في مشارقها ومغاربها ، أمة المليار وثلث المليار . إن هذه جريمة ، جريمة كبرى بكل المقاييس .

لكل جريمة دافع ، فما الدافع هنا؟

وإذا نظرنا إلى هذه الجريمة ما الباعث عليها؟ ما الدافع إليها؟

هناك جرائم لها دوافع ، ما الذي دفع إلى هذه الجريمة؟

إنها جريمة بلا مقدمات . بلا أسباب . في الجريدة الدانمركية ، أراد رئيس تحريرها أن يستدعي الرسامين ليتنافسوا في رسوم تخيّلية لمحمد ﷺ ، تقاعس

---

(١) البيت لجرير ، انظر : ديوان جرير ص ٦١. ويعد من أشد البيوت في الهجاء. انظر : البداية والنهاية (٩/ ٢٦٠).

OBEIKAN.COM

بعض الرسامين وأعرضوا عن ذلك خشية أن يستثير غضب المسلمين الدانمركيين ، وما زالت الجريدة تحرض وتستثير ، حتى استجاب لها من استجاب ، ونشرت اثني عشر رسما ، كلها في غاية الإسفاف ، ونهاية الإقذاع والتجريح في محمد ﷺ .

لا باعث ولا دافع إلى هذه الجريمة ، لم يكن هناك سبب في الأجواء الدانمركية ، المسلمون علاقاتهم جيدة مع الحكومة والمجتمع الدانمركي ، ما الذي يدفع إلى هذه الجريمة إلا الاستهانة بهذه الأمة؟ أمة من ورق! هذه استهانة بهذه الأمة . كأن أحدا لن يغضب لتدنيس هذه الحرمات بالأقدام .

جريمة غير مبررة :

ثم هي جريمة غير مبررة ، لا تبرير لها إطلاقا ، يقولون إنها حرية الرأي ، وحرية التعبير عن الرأي . هذا كذب . هذا افتراء . أي رأي هنا حتى نستطيع أن نحاجه ونناقشه بالرأي الآخر؟

ليس هناك رأي ، حينما يقابلك أحد ويقول : لعن الله أباك . هل هنا رأي تستطيع أن ترد عليه؟ هذا سباب علني .

إن هذه الجريمة لا يستطيع أن يدركها إلا من رأى هذه الرسوم وهذه الصور ، كنت أظن أن الأمر هيّن ، حتى رأيت هذه الرسوم ، فجن جنوني ، ونفد صبري ، وضاق صدري ، وثار غضبي . إنها رسوم مسيئة غاية الإساءة ، هابطة غاية الهبوط ، لا يملك الحليم إلا أن يغضب إذا رأى هذه الرسوم ، لا تبرير لهذا على الإطلاق . حرية الرأي والتعبير ، عن أي رأي هنا؟

ليس هنا رأي حتى نناقشه ، هذا سباب علني . ولذلك من الكذب الصراح والقبيح أن يقال : إنها حرية الرأي والتعبير عنه . إذا كانت الحرية أن تقابل الناس بالطريق وتسبهم ، وتسب آباءهم وأمهاتهم ، وتقول : هذا رأيي ، وأنا أعبر عنه ، هذا ليس من حرية الرأي لا في قليل ولا في كثير ؛ هذا سوء أدب .

هذا قلة أدب . هذا من سوء السلوك ، ومن قيم التعامل مع الآخر المرفوضة ؛ بل ترفضها الأعراف وترفضها الأخلاق ، وترفضها الأديان ، ويرفضها كل إنسان عنده أدب أو ذوق .

لا تبرير لهذه الجريمة أيها الإخوة .

تعنت دانمركي :

ومع هذا قبل المسلمون الدانمرك أن تعتذر الجريدة في بادئ الأمر . أبت الجريدة أن تعتذر ، وقالت : هذا من حقنا . هذا من حريتنا .

طلب واحد وعشرون سفيرا إسلاميا وعربيا في الدانمرك ، أن يقابلوا رئيس الوزراء ؛ فأبى أن يقابلهم ، رفض مجرد المقابلة ، وقال : هذا شأن دانمركي ، شأن يتعلق بحرية الصحافة ولا شأن لنا به ، رفض مجرد المقابلة .

لو أنهم في أول الأمر وقفوا في منتصف الطريق ، وقالوا : لا نقصد الإساءة ، ونحن نأسف لهذا ، وقبل الرجل أن يقابل السفراء ، ربما انتهى الأمر ، ولكنهم أصروا على الحنث العظيم ، أصروا على هذا الموقف المخزي ، فكانت النتيجة : أنه بعد شهرين نشرت صحيفة نرويجية اسكندنافية أيضا نشرت الصور مرة أخرى في شهر يناير ، وبذلك اشتعلت النار من جديد ، الناس نسوا قضية الدانمرك ، هذه الصحيفة تعيدها تبعا ، وتظهر القضية من جديد ، هنا رأى الإخوة في الدانمرك أن يعرضوا القضية على أمتهم كلها ، الأمر ليس أمرهم ، إن محمدا ليس مِلكهم ، إن الإسلام ليس دينهم وحدهم ، ولذلك أنا أقول : إنها جريمة كبرى .

من سن سنة سيئة ، عليه وزرها ووزر من عمل بها :

ثم إن هذه الجريدة سنت سنة سيئة ، عليها وزرها ووزر من عمل بها ، سنت سنة سيئة للصحف الأوروبية ، وأصبحت صحف أوروبا تتنافس فيما بينها لإعادة

نشر هذه الصور ، تضامنا مع الصحيفة الدانمركية ، فنشرت صحيفة سويسرية وصحيفة هولندية ، وصحيفة إيطالية ، وصحيفة ألمانية ، وصحيفة أسبانية ، وصحيفة فرنسية ، والـ بي بي سي في لندن ، كل هذا منشور في الصحف .

حتى الصحيفة الفرنسية التي يملكها رجل مصري ، من رجال المال والأعمال ، قبطي معروف رامي لكح ، لكن هذا الرجل قال : لا أعلم بهذا ، وأقال رئيس تحرير الصحيفة واعتذر عن هذا ، وأنه لا يقبل هذا أبدا .

وقيل لي : إن وزارة الخارجية الفرنسية اعتذرت عما نشر في تلك الصحيفة ، فإن كان هذا صحيحا فإنا نبرئ فرنسا . أما الدول الأوروبية الأخرى ، فسيكون لنا موقف منها ؛ إذا لم تقف مثل موقف فرنسا هذا ، إذا لم تتبرأ من موقف صحفها هذه .

إنها جريمة أيها الإخوة ، جريمة كبرى .

ما موقف أمتنا من هذه الجريمة؟

أيها الإخوة المسلمون : ما موقف أمتنا من هذه الجريمة؟ أن يعتدى عليها ؛ على مقدساتها ، على نبيها ورسولها ، وقد اعتدى من قبل على قرآنها ، ما موقف الأمة؟

موقف الأمة المسلمة المليار وثلث المليار ، موقفها يتحدد في هذه الأمور :

الأمر الأول : الغضب المشروع :

أول شيء أن تغضب الأمة ، أن تثور الأمة ، أن تغضب لدينها ، لربها ، لقرآنها ، لمحمدها ، لرسولها العظيم . أن تظهر الأمة أنها لا تقبل هذا بحال من الأحوال .

الغضب هنا فضيلة ، بل فريضة ، لا بد أن تغضب الأمة ، الصحابة ما كانوا يقبلون أي كلمة تمس رسول الله ﷺ ، يقول أحدهم : دعني يا رسول الله

أضرب عنقه[1] ، لأنه تطاول بكلمة على رسول الله ، كان حب الرسول ﷺ جزءا من الإيمان ، ولا يزال حب هذا الرسول جزءا من الإيمان ، كما في الحديث : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين »[2] .

وفي الحديث الآخر :« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما »[3].

وحينما وقف بعض الصحابة على خشبة الصلب ليصلب في مكة ، قال له المشركون أتحب أن يكون محمد في مكانك وأنت بين أهلك في مكة ؟ قال : والله ما أحب أن يكون رسول الله ﷺ في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة في قدمه . فقال أبو سفيان : ما رأيت أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا[4].

لسنا حميرا تركب ، بل نحن أسود تزأر :

لا بد للأمة أن تغضب . يروى عن الإمام الشافعي أنه قال : من استغضب ولم يغضب فهو حمار . ونحن لسنا أمة من الحمير ، لسنا حميرا تركب ، بل نحن أسود تزأر ، أسود تغار على عرينها ، تثأر لحرماتها ، لسنا أمة من الحمير .

---

(١) وردت هذه الكلمة عن عدد من الصحابة في مواقف مختلفة ، منهم عمر وخالد وغيرهما ، ومنها ما رواه البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري ، وفيه : « .. فقام رجل غائر العينين ، مشرف الوجنتين ، ناشز الجبهة ، كث اللحية ، محلوق الرأس ، مشمر الإزار ، فقال : يا رسول الله اتق الله ، فقال : « ويلك أو لست أحق أهل الأرض أن يتقى الله ». قال : ثم ولّى الرجل ، فقال خالد بن الوليد : يا رسول الله ! ألا أضرب عنقه ؟ فقال :« لا لعله أن يكون يصلي » . قال خالد : وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه .....» رواه البخاري في المغازي (٤٣٥١) ومسلم في الزكاة (١٠٦٤) وأبو داود في السنة (٤٧٦٤) والنسائي في الكبرى كتاب التفسير (١١١٥٧) وفي « المجتبى » كتاب الزكاة (٢٥٧٨).

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في الإيمان (١٥) ومسلم في الإيمان (٤٤) عن أنس بن مالك .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في الإيمان (٢١) ومسلم في الإيمان (٤٣) وأحمد في المسند (١٢٠٠٢) وابن ماجه في الفتن (٤٠٣٣) والنسائي في الإيمان وشرائعه (٤٩٨٨) عن أنس .

(٤) راجع : سيرة ابن كثير (١٢٥/٣) وزاد المعاد (٢١٨/٣).

أمة يجب أن تغضب لله ولرسوله ولكتابه ، هذه أمة محمد .

لا يجوز أبدا أن نقبل الهوان في ديننا ، وفي الحديث :« من أعطى الذلة في نفسه طائعا غير مكره ليس منا »[1]، والحق جل وعلا يقول : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون:٨) .

لا يجوز أن نقبل الذلة أبدا ، نستغضب ولا نغضب؟! لا بد أن نغضب لكي نُري العالم كيف تكون غضبتنا .

الشاعر العربي يقول :

لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إنني ... إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج

ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ... ولي فرس للجهل بالجهل مسرج

فمن رام تقويمي فإن مقوم ... و من رام تعويجي فإني معوج

وما كنت أرضى الجهل خدناً وصاحباً ... ولكنني أرضى به حين أحرج[2]

لسنا أمة من الدياييث :

المسلم الحق يغار على حرماته أن تنتهك ، ولا يقبل الإسلام من المسلم أن يفقد الغيرة على دينه وعلى مقدساته . قبح الله من لا يغار . النبي عليه الصلاة والسلام يقول :« لا يدخل الجنة ديوث »[3] .

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٥١/١) وقال : لا يُروى هذا الحديث إلا بهذا الإسناد ، تفرد به يزيد بن ربيعة ، وقال الهيثمي في المجمع : مجمع الزوائد : رواه الطبراني وفيه يزيد بن ربيعة الرحبي وهو متروك ، (٤٣٣/١٠) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣١٠).

(٢) الأبيات نسبت للأحنف بن قيس ، انظر: المستطرف صـ٢٤٢، ولمحمد بن حازم الباهلي ، انظر : معجم الشعراء صـ١١٦ ، ولصالح بن جناح اللخمي ، انظر : الوافي بالوافيات صـ٢٢٣١ ، ونسب كذلك لغيرهم .

(٣) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (٦٤٢) وعند أحمد في المسند : ثلاثة قد الله عليهم الجنة : مدمن الخمر ، والعاق ، والديوث الذي يقر في أهله الخبث، رواه أحمد في المسند (٦١١٣) عن عبدالله ابن عمر ، وقال مخرّجوه صحيح ، وهذا إسناد ضعيف لجهالة الشيخ الذي رواه عن سالم ، وقال الهيثمي في المجمع : رواه أحمد ، وفيه رواة لم يسم ، وبقية رجاله ثقات (٥٩٩/٤)

يسمع أن هناك من يكلم امرأته ريبة ، من يدخل على امرأته في غيابه ، ويسد أذنا من طين ، وأذنا من عجين . هذا رجل فقد الغيرة على حرماته ، فقد معنى الرجولة ، ليس برجل من لا يغار على أهله وحرماته . النبي عليه الصلاة والسلام يقول :« إنه لغيور ، وأنا أغير منه ، والله أغير مني»[1] .

هناك دياثة في مجال الأسرة ، وهناك دياثة في مجال الأمة . هناك دياييث يقبلون على أمتهم أن تهان ، ويقبلون على دينهم أن يهان ، ويقبلون على كرامتهم أن تداس ، ولا يقدمون شيئا ، ولا يغارون ولا يغضبون . لا ليست هذه أمتنا ، لسنا أمة من الدياييث ، نحن أمة تغار على حرماتها .

أول ما نطلب من هذه الأمة أن تغار وأن تغضب ، وهذا يوم غضب لله ولرسوله ولكتابه ، ولكل أنبياء الله وكتبه ورسله ، ولكل مقدسات الأديان ، هذا يوم الغضب لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام ، أول ما نطلب من الأمة أن تغار وأن تغضب . إذا فَقَدَت الأمة الغضب والغيرة ؛ فَقَدَت حيويتها ومعناها ورجولتها .

الأمر الثاني : المقاطعة :

الأمر الثاني : أن نقاطع من استهان بحرماتنا ، وتعدّى على نبينا عليه الصلاة والسلام ، أن نقاطع منتجاته وبضائعه ، هذا أقل الواجب .

كيف أروج بضائع هؤلاء الذين يهينونني ويشتمونني ويهينون نبيي؟

إن كل ريال أو دينار أو جنيه أو فلس ستدفعه إلى هؤلاء يتحول في محصلته في النهاية إلى صحفهم وجرائدهم ، يتحول إلى كلمات بذيئة ، أو رسوم مخزية ، أو تعليقات مزرية ، تمسُّ دينك ونبيك ورسولك محمدا ﷺ ؛ فهل تقبل هذا أيها المسلم؟

---

(١) رواه مسلم في اللعان (١٤٩٨) عن أبي هريرة ، والمقصود بالغيور في الحديث: سعد بن عبادة

لا بد أن نقاطع هؤلاء . قبل ذلك رفضوا أن يعتذروا أو يقابلوا سفيرا ، حينما وجدوا هذه المقاطعة بدأوا يلينون الكلام ويعتذرون . أين كان اعتذاركم في أول الأمر؟

الأمر الثالث : الضغط على الحكومات :

ثم إننا نطلب من الأمة أن تضغط على حكوماتها لتقف موقفا إيجابيا ، إن الأمر ليس هينا ، إنه محمد عليه الصلاة والسلام ، يجب أن تسحب الحكومات سفراءها من هذه الدولة ، يجب أن تشعرهم أننا نغضب لنبينا .

تحية لكل ذي موقف إيجابي :

نحن نحيي الحكومات التي وقفت موقفا كريما ، نحيي ليبيا التي أغلقت سفارتها . نحيي السعودية وسوريا اللتين سحبتا سفراءهما . نحيي مجلس النواب الكويتي الذي تبنى علنا المقاطعة وأعلنها . نحيي مجلس الشعب المصري الذي أنكر هذا . نحيي غرفة التجارة والصناعة في قطر التي أعلنت مقاطعة البضائع . . . نحيي الجماهير الغاضبة في أنحاء العالم الإسلامي والعربي ، في كل مكان في المشرق والمغرب . نحيي هذه الجماهير .

ولكنا نريد من الحكومات أن تستجيب لغضبة الجماهير ، وتقف موقفا إيجابيا ، حتى يعلم هؤلاء أن لحْمنا ليس لحما سائغا . إن لحمنا مسموم . لا نستطيع أن نقبل الهوان في ديننا ولا لأمتنا بحال من الأحوال .

الأمر الرابع : إصدار قرار يحرم بشكل قاطع إهانة الأنبياء :

ثم نريد أمرا رابعا هو : الضغط على الحكومات ، بأن تطلب من الأمم المتحدة إصدار قرار أو قانون صريح ؛ يحرم بشكل قاطع إهانة الأنبياء ؛ أنبياء الله ورسله ، وكتب الله المقدسة ، ومقدسات الأديان ، بحيث لا يستطيع أحد أن يمس هؤلاء بسوء . لقد أصدروا مثل هذا لحماية اليهود واليهودية . فنستطيع

كما قال بعض الدنمركيين: نحن نستطيع أن نسخر من المسيح ومن أم المسيح. قيل له: هل تستطيع أن تسخر من اليهود؟ فلم يستطع أن يتكلم.

اليهود محميون هنا بالقوانين. القوانين التي تحمي الساميّة؛ التي لا يستطيع أحد أن يتكلم بكلمة في مناقشة أرقام المحرقة المزعومة «الهولوكوست»، لا يستطيع أحد ولو كان يتحدث في رسالة ماجستير أو دكتوراه ويناقش الأمر مناقشة علمية، لا يقبل من هذا. روجيه جارودي ـ على مكانته في عالم الفكر ـ حينما تحدث عن هذا، حُكِم عليه بالسجن بمقتضى القوانين، نحن نريد قوانين تحمي المقدسات، تحمي الأنبياء، تحمي رسل الله عز وجل.

نريد من الحكومات، أن تضغط على الأمم المتحدة لإصدار مثل هذا، ونريد أيضا من الشعوب والجماهير أن تضغط على الحكومات لتقول للدنمركيين: نحن يمكننا أن نتساهل معكم إذا اعترفتم بالدين الإسلامي، وبالوجود الإسلامي عندكم، وسمحتم للمسلمين أن يقيموا مساجدهم ومراكزهم أسوةً بالبلاد الأوروبية الأخرى، وسمحتم للمسلمين أن يردّوا في هذه الجريدة عن عِرْض محمدٍ ﷺ، وأن يُسمح لهم عدة أشهر بالكتابة دفاعا عن هذا الرسول، وبيانا لفضائله ومكارمه ولدعوته ورسالته إلى العالم، نرجو منهم هذا.

هذا ما نريده من الحكومات، ومن الأمة في هذا الوقت.

السب ممنوع في شرعنا:

وأحب هنا أيها الإخوة أن أبين نهجَنا نحن المسلمين لهذا الأمر، نحن المسلمين لنا منهجنا المتميز الخاص، الإسلام يربي المسلم على عفة اللسان، على نظافة اللسان، على الامتناع عن التعبير بالسباب لأي شخص، لأي ظاهرة، حتى سب الأشياء ليس سب الأشخاص فقط، هكذا يقول النبي عليه الصلاة

والسلام : «لا تسبوا أصحابي»[1] ، «لا تسبن أحدا ولا تحقرنه[2]» ، «لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء[3]» ، «لا تسبوا الموتى فإنهم أفضَوْا إلى ما قدّموا[4]» ، «لا تسبي الحمى فإنها كفارة الخطايا[5]» ، «لا تسبوا الريح فإنها مأمورة[6]» ، «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر[7]»، «لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة[8]»، كل شيء يحمل أو يحتمل جانبا من الخير لا ينبغي أن يسب .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي (٣٦٧٣) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٤١) وأحمد في المسند (١١٠٧٩) وأبو داود في السنة (٤٦٥٨) والترمذي في المناقب (٣٨٦١) عن أبي سعيد الخدري .

(٢) جزء من حديث رواه أحمد في المسند (٢٠٦٣٦) وقال مخرّجوه : إسناده صحيح ، وأبو داود في اللباس (٤٠٨٤) والطبراني في الكبير (٦٤/٧) والبيهقي في الشعب (١٤٨/٥) والنسائي في الكبرى كتاب الزينة (٤٣٣/٨) عن جابر بن سليم .

(٣) رواه أحمد في المسند (١٨٢٠٩) ، وقال مخرّجوه : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، والترمذي في البر والصلة (١٩٨٢) ، وابن حبان في الصحيح كتاب الجنائز (٢٩٢/٧) ، والطبراني في الكبير (٤٢٠/٢٠) عن المغيرة .

(٤) رواه البخاري في الجنائز (١٣٩٣) ، وأحمد في المسند (٢٥٤٧٠) ، والنسائي في الجنائز (١٩٣٦) عن عائشة .

(٥) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٧٥) وابن حبان في صحيحه كتاب الجنائز (٢٠٠/٧) وأبو يعلى في مسنده (٦٤/٤) والبيهقي في الكبرى كتاب الجنائز (٣٧٧/٣) عن جابر .

(٦) رواه أحمد في المسند (٢١١٣٨) بلفظ «لا تسبوا الريح فإذا رأيتم منها ما تكرهون...» ، وقال مخرّجوه :حديث صحيح ، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين ، ورواه الترمذي في الفتن (٢٢٥٢) وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه البخاري في الأدب المفرد (٢٥١/١) والنسائي في الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة (٣٤١/٩) عن أبي بن كعب .

(٧) رواه مسلم في الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٦) ، وأحمد في المسند (٩١٣٧) ، والطبراني في الأوسط (٣٦٠/٥) ، وأبو يعلى في المسند (٤٥٢/١٠) ، والنسائي في الكبرى كتاب النسائي (٤٥٧/٦) عن أبي هريرة .

(٨) رواه أحمد في المسند (٢١٦٧٩) وقال مخرّجوه : رجاله ثقات رجال الشيخين ، وقد اختلف في وصله وإرساله ، ورواه أبو داود في الأدب (٥١٠١) وابن حبان في صحيحه كتاب الحظر والإباحة (٣٧/١٣) والنسائي في الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة (٣٤٥/٩) والطبراني في الكبير (٢٤٠/٥) عن زيد بن خالد .

OBEIKAN.COM

وأكثر من ذلك أن الله تعالى يقول : ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (الأنعام:١٠٨)[١] لا تسبوا الأصنام ، الحجارة التي يعبدها المشركون . . لا تسبوها ، لأن هذا يجرئهم على أن يردوا على السب بسب مثله ، فيسبوا الله عز وجل ، ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ .

وأخطر من ذلك الحديث الشريف الذي يقول : «لا تسبوا الشيطان ، وتعوّذوا بالله من شره[٢]» حتى الشيطان إن الإسلام يعلم المسلم الإيجابية ، بدل أن تسب الشيطان تعوذ بالله من شر الشيطان ، السب عمل سلبي ، والاستعاذة عملٍ إيجابي. استعذ بالله من الشيطان الرجيم، ليس في القرآن .. العنوا الشيطان ، أو سبوا الشيطان ، إنما فيه استعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ (المؤمنون:٩٧)، إلى آخر ما في القرآن الكريم .

سبُّ أي نبي من الأنبياء جريمة :

هذا هو المنهج الإسلامي ، لأن المسلم لا يكون سبابا ولا لعّانا ، لا يسب أحدا من الناس ، فكيف بالأنبياء؟ الأنبياء لا يجوز لأحد أن يمسهم بسوء ، نحن لا نجرم سب محمد ﷺ وحده ، من سب نبيا من الأنبياء : إبراهيم أو يعقوب أو موسى أو عيسى ، أو أي نبي من أنبياء بني إسرائيل من دون هؤلاء الأنبياء العظام ، إبراهيم وموسى والمسيح من دونهم حتى داود وسليمان الذين يعتبرونهم من ملوكهم ، هم عندنا أنبياء معصومون ، لا يجوز أن يمسهم أحد

---

١) ذكر القرطبي في سبب نزول الآية ؛ أن ابن عباس قال : قالت كفار قريش لأبي طالب : إما أن تنهى محمدا وأصحابه عن سب آلهتنا والغض منها ،وإما أن نسب إلهه ونهجوه ؛ فنزلت الآية. انظر : تفسير القرطبي (٥٥/٧) .

(٢) رواه تمام الرازي في الفوائد (٣١١/١) عن أبي هريرة وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة(٢٤٢٢) .

بسوء . من مس نبيا بسوء في فقه شريعة الإسلام ، فقد ارتكب جريمة من جرائم الردة ، إذا كان مسلما مرق من الإسلام ، خرج من دين الإسلام بسب نبي من الأنبياء ، نحن أول من يغار على من يسب عيسى المسيح عليه السلام أو أمه الصديقة عليها السلام وهذا هو النهج الإسلامي .

حكم سب النبي ﷺ :

أما محمد ﷺ فهذا له أمر آخر ، محمد ﷺ لا يسمح المسلمون بالتطاول عليه بحال من الأحوال ؛ لأنه رمز الأمة . من سب محمدا إن كان ذميا انتقضت ذمته ، وانتقض عهده ، وأصبح مستباح الدم ، وإن كان مسلما انتقض إسلامه ، وخرج من الملة ، وارتكب جريمة كبرى ، فإن أكثر فقهاء المسلمين يقولون باستتابة المرتد . من ارتد عن الدين يجب أن تطلب توبته ، يتاح له الفرصة مدة من الزمن تطلب منه . إلا من شتم الرسول هذا لا تقبل منه التوبة ، لأنه ارتكب ما لا يقبل الرجوع عنه ، إلى هذا الحد ذهب بعض فقهاء المسلمين ، وألّفوا في ذلك كتبا ، منها كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية المشهور (الصارم المسلول على شاتم الرسول) ، شتم الرسول وسب الرسول ﷺ كبرى الجرائم في الإسلام ، كيف يسمح بأن يسب الرسول علنا ، وفي الصحف وبصور غايةٍ في الإقذاع والإيذاء ، هذا أمر لا يقبل بحال من الأحوال .

تحذيرات لا بد منها :

وأحب هنا قبل أن أختم هذه الخطبة أن أوجه بعض التحذيرات :

التحذير الأول :

إلى حكوماتنا المتخاذلة ، التي تتحسس موقف أمريكا هل ترضى عنا إذا غضبنا على هذا الأمر أو لا ترضى ، الذين يخشون الخالق قبل أن يخشوا المخلوق ، ويسترضون الناس قبل أن يسترضوا الله ، هذه الحكومات المتخاذلة ، نقول لها : قفي وقفة شجاعة ، قفي . . أثبتي أنكِ مسلمة ، أنكِ تغارين على

هذا الدين ، إنما نريد من حكوماتنا ألا تنفصل عن شعوبها ، الجماهير في طول العالم الإسلامي وعرضه أثبتت موقفا ، أثبتت غضبها ، فعلى الحكومات ألا تنفصل عن هذه الجماهير .

التحذير الثاني :

والتحذير الثاني أوجهه إلى الغربيين ، إلى الأمريكان ، وإلى من تبعهم من الأوروبيين ؛ الذين يزعمون أنهم يحاربون الإرهاب ، ويقاومون العنف في العالم . أقول لهم : إنكم بسكوتكم على مثل هذه الجرائم التي تهين رسول الإسلام ، وتستهين بأمته الكبرى ؛ إن هذا هو الذي يولّد العنف ، وهو الذي ينشئ الإرهاب ، وهو الذي يجعل الإرهابيين يقولون : إن حكوماتنا لم تفعل شيئا ، فلا بد أن نأخذ الثأر لنبينا بأنفسنا . هذا ما يصنع الإرهاب ، هذا ما يولد العنف.

لا بد أن تقفوا أيها الناس وقفة فيها إنصاف ، وفيها شجاعة ، وفيها قولة حق أمام هذه الإساءات والإهانات ، وإلا فأنتم قد اخترتم لأنفسكم . أنتم تصنعون (قاعدة جديدة) للعنف ، بل أنتم تصنعون قواعد للعنف ، حينما تستهينون بأمة الإسلام ، ومقدسات الإسلام ، وحرمات المسلمين ، هذا تحذير آخر .

التحذير الثالث :

وهناك تحذير ثالث : أوجهه إلى بعض المسلمين ؛ بعض المسلمين ينتقمون من مثل هذه الأعمال بالذهاب إلى مواطنيهم من النصارى ليحرقوا كنائسهم ، أو يعتدوا على بعضهم ، وهذا خطأ محض .

أولا أريد أن أقول : إن هؤلاء الدنماركيين وأمثالهم لا هم نصارى ولا مسيحيون و لا أهل كتاب . معظمهم أناس لا دين لهم ، دينهم اتباع الشهوات ، واقتراف الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ومن هذه الفواحش فاحشة قوم لوط . ويرون أن لهم الحرية في كل شيء . فهؤلاء ليسوا نصارى حتى ننتقم من النصارى عندنا .

ثم إن النصارى عندنا يستنكفون من هذه الأمور ، ويستنكرونها كما رأينا رامي لكح يستنكر هذا ، وهو يعيش في فرنسا ، ومعه الجنسية الفرنسية ، ولكنه قال : أنا أحترم الأديان ، وأحترم الإسلام ، ولا أقبل الإهانة للإسلام ، ولا لأي دين من الأديان ، فلا يجوز لنا أن نعتدي على مواطنينا ، أو على شعائرهم ، أو على مقدساتهم ، فهذا هو العمل الخطأ .

يجب أن نقف أمام هؤلاء المعتدين ، ويجب أن نُري العالم أننا لهم بالمرصاد ، إذا وقفت أوروبا مع هؤلاء ، وأصرّت أنها تتضامن معهم ، فنحن أيضا نتضامن لمقاطعة هؤلاء جميعا ، والله تعالى يقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (الأنفال:٧٣) ، إذا والى بعضهم بعضا وساند بعضهم بعضا ، ولكنكم لم تساندوا بعضكم بعضا ، ولم توالوا بعضكم بعضا ولم يشد بعضكم أزر بعض تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ، لأنه سيكون إيجابية هناك وسلبية هنا ، عمل هناك وفراغ هنا ، تكتل هناك وتمزق هنا هذا لا يجوز .

لا بد للأمة من وقفة :

لا بد أن تقف الأمة الإسلامية وقفة الرجولة ، نقول لهؤلاء الأوروبيين : نحن نستطيع أن نستغني عنكم ، وأنتم لا تستطيعون أن تستغنوا عنا . نحن نستطيع أن نستغني عن منتجاتكم وبضائعكم ، نستطيع أن نشتري من الصين ، من اليابان ، من كوريا ، من تايوان ، من هونج كونج ، من ماليزيا ، من بلاد آسيا . ونقول ما قاله الملك فيصل رحمه الله سنة ثلاثة وسبعين أيام حرب البترول ، قال لهم : نحن نستطيع أن نستغني عن البترول ونعود إلى حياتنا الأولى ، نكتفي باللبن والتمر ، اللبن من نوقنا والتمر من نخيلنا ، هذا حينما هددت الكرامة العربية ، قال هذا الملك فيصل رحمه الله ، حين هددت كرامتنا الإسلامية ، أما إذا هددنا في نبينا ورسولنا نقول : نكتفي بأقل القليل ، نعيش على الكفاف ، نعيش كما كان يعيش آباؤنا وأجدادنا ، ونقول ما قال الشاعر :

لا تسقني ماء الحياة بذلة ... بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

هذه هي أمة محمد ، هذه هي أمة الإسلام التي يجب أن تقف هذا الموقف دفاعا عن دينها ، وذودا عن مقدساتها وحرماتها ، نحن لا نعتدي على أحد ، نحن مدافعون ، نحن يُعتدى علينا ، نحن نرد عن أنفسنا ، وهل يلام الإنسان إذا دافع عن نفسه ، وها أنا أردد ما قاله الشاعر العربي :

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم ... فهل أنا في ذا آل همدان ظالم؟

متى تحمل القلب الذكي وصارما ... وأنفا حميا تجتنبك المراغم[1]

لا نريد أن نقبل الهوان على أنفسنا ، لا نريد أن نجرّح ونؤذى ويستهان بنا ، ونسكت ونقف موقف المتفرج ، هذا لا يكون من أمة حيّة ، لا نريد أن نقول كما قال أبو الطيب المتنبي :

ذل من يغبط الذليل بعيش ... رب عيشٍ أخف منه الحمام

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميّت إيلام

أسأل الله تبارك وتعالى أن يحيي أمتنا من موات ، وأن يجمعها من شتات ، وأن يوقظها من سبات ، وأن يعزها من ذلة ، وأن يؤمنها من الخوف ، وأن يجعل يومها خيرا من أمسها وغدها خيرا من يومها .

---

(١) يقال بأن الشعر لعمرو بن سراقة الهمداني ثم السهمي ، أغار عليه رجل من مراد يقال له : خزيم. فذهب بإبله وخيله ، فأتى عمرو امراة كان يتحدث إليها ، فأخبرها أن خزيما أغار على إبله وخيله ، وأنه يريد الغارة عليه. فقالت : لا تعرض لتلفات خزيم فاني أخافه عليك ، فأغار عمرو على خزيم ، فاستاق كل شيء له فأتاه خزيم بعد ذلك ، فطلب إليه أن يرد عليه بعض ما أخذ منه. فقال في ذلك شعرا ، ومما قاله :

تقول سليمى لا تعرض لتلفه ... وليلك من ليل الصعاليك نائم

وكيف ينام الليل من جل همه ... حسام كلون الملح أبيض صارم

انظر : تاريخ دمشق (١٢/ ١٦٣).

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم ؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

* * *

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد . . فيا أيها الإخوة المسلمون :

كان في نيتي أن أجعل الخطبة الثانية تعليقا على فوز حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتخابات ، وتصويت الشعب الفلسطيني لها ، وإعطائها تفويضا بأن تقود السفينة في المرحلة القادمة ، كان في نيتي أن أعلق على هذا الأمر ، وأعطيه بعض حقه ، ولكني . . هكذا أراد الله ، أن تكون هذه الخطبة الأولى والثانية خالصة للدفاع عن رسول الله ﷺ ، وهو جدير بهذا ، وموعدي مع الإخوة في الأحد القادم إن شاء الله في برنامج الشريعة والحياة ، حيث نتحدث عن قضية حماس ، وحقها على الأمة في هذه المرحلة الحرجة القادمة إن شاء الله .

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجمع كلمة أمتنا على الهدى ، اللهم اجمع كلمة أمتنا على الهدى ، وقلوبها على التقى ، ونفوسها على المحبة ، ونيّاتها على الجهاد في سبيلك ، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل .

* * *

OBEIKAN.COM